**جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ـ كلية الآداب واللغات ـ قسم اللغة والأدب العربي**

**مقياس الرواية العربيّة ـ المستوى ماستر1 ـ تخصص: أدب حديث ومعاصر**

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**ـ السّداسيّ الأول : الرواية الحديثة ـ الأستاذ: عبد الرحمان بن يطو**

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**ـ المحاضرة رقم : 01**

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**عنوان المحاضرة : أوليات الرواية العربيّة**

كثير من الباحثين العرب يجهلون بعض الحقائق التاريخيّة الأدبيّة في نشأة بعض الأجناس الأدبيّة وليس من الصّدف أن تكون الجزائر موطن لكثير من المبدعين الذين يعود لهم فضل التّأسيس لهذا أو ذاك الجنس الأدبيّ ،ونذكر في البداية أوّل رواية عرفتها البشريّة وهي رواية كوميديّة جزائريّة بحتة تسمّى (الحمار الذّهبي ) Metamorphoses لوكيوس أبوليوس Apulius الذي عاش في ظل الإمبراطورية الرومانية. ما بين عام 124 أو 125م، وتوفي حوالي عام 180م، زمن الانتشار المسيحيّ ،وهو ابن مدينة مـداوروش قرب سوق هراس بالشرق الجزائريّ ، وصاحب أوّل سيرة ذاتيّة في تاريخ البشريّة هو الأخر من نفس الجهة من الجزائر ، بمدينة سوق اهراس، ويدعى سانت أوغستين (354 ـ 430)، ولد في ظل الحكم النوميديّ أمّا مؤلّفه فيسمّى (اعترافات) les confessions de St Augustine ، ونبقى نتدرّج في البحث حتى نصل إلى أوّل مسرحية باللغة العربيّة ؛إذْ يُؤرّخ أبو القاسم سعد الله لأول مسرحية جزائرية باللغة العربية بمسرحية (نزهة المشتاق وغصة العشاق في الطرياق في العراق) لمؤلفها إبراهيم دانينوس (1797 ـ 1872) التي ألّفها سنة 1847،وهو يهودي من العاصمة ولد وعاش بالجزائر، ولعلّه من أصل يوناني [أبو القاسم سعدالله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، م س ،ص420] ، وذلك قبل نص مسرحية " البخيل " لمارون النقاش والتي يؤرّخ لها بأوّل مسرحية عربية وقد اقتبسها صاحبها عن الكاتب الفرنسي الشهير موليير، بمعنى أنّها ليست من إنتاجه المحض .

ومن المصادفات التاريخيّة أن يكون الكاتب الإسباني العالميّ ميغيل سيرفانتس (1547ـ 1616) صاحب رائعة (دون كيشوت دي لامنشا) ، أسيرا في مدينة الجزائر العاصمة بمغارة تقع اليوم في حي بلوزداد (بلكور سابقا) لمدّة أكثر من خمس سنوات حاول فيها الفرار أكثر من مرّة ولكن لم يفلح ، ومن تجربة الأسر في الجزائر استوحت مُخيلته الإبداعيّة كثيرا من الإحداثيات والشّخوص التي عايشها أثناء وجوده في الجزائر وبقيت لحظة خالدة في وجدانه ، إذن يمكن القول أنّ للجزائر حضورا بشكل أو بأخر في رواية ميغيل سرفانتس الخالدة ، وقد دامت فترة إقامته في الجزائر بين (1575ـ1580)، يضاف إلى ذلك فإنّ أوّل موسوعة في علم الاجتماع كتبها عبد الرحمن بن خلدون في مغارة بنواحي مدينة تيهرت بالقرب من تسمسيلت اليوم، بعنوان (المقدمة) وذلك عام 1377م، وعنوانها الكامل هو (كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) ويُعَدّ هذا الكتاب منظومة متكاملة من المعرفة الإنسانيّة (التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والعمران والاجتماع و السياسة و الشريعة والطب). يدرس فيها صاحبها أحوال البشر وطبائعهم المختلفة وتأثير البيئة في بناء شخصية الإنسان . دون أن ننسى أنّ أول أرجوزة في النّحو من تأليف جزائري وهي (الآجرومية) من تأليف محمد بن آجروم من قبيلة صنهاجة ، وفيه ابتكر طريقة بيداغوجية مُيسّرة لحفظ قواعد النحو العربي وفهمه موجّهة لطلبة العلم آنذاك، ومازلت تعمل به بعض المدارس و الزوايا إلى اليوم في شمال إفريقيا .

والغرض من هذا العرض التاريخي هو التّعريف بحضور الشخصية الثقافية الجزائرية في حقل العلم والمعرفة ومساهمتها الفعّالة في إثراء المنظومة العلميّة والأدبيّة في العالم .

ونحن بصدد الحديث عن الرواية العربيّة الجزائريّة علينا في البداية أن نعرج إلى الحديث عن نشأة الرواية العربيّة الحديثة ثم الرواية العربيّة المعاصرة ، لأنّ الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية لا يمكن أن نفصلها عن امتداداتها العربيّة ، وقبل ذلك لابدّ من الحديث عن أوّليات السّرد العربيّ ، قبل ظهور ما يُعرف اليوم بالرواية الرواية العربية .

**ـ ما قبل الرواية العربية :**

مهما يكن فالرواية العربيّة الحديثة هي امتداد طبيعيّ للسّرد العربي القديم ، وهذا ما ذهب إليه الناقد المصري محمود أمين العالم (1922ـ2009) في قوله :" إن الرواية امتداد متطوّر للأساطير والملاحم والسيّر والحكايات الشعبيّة والقصص والمقامات .. " ، غير أنّ هناك من النّقاد العرب المعاصرين من يتّجه اتّجاها مُخالفا ويرى بأنّه فنّ دخيل على المنظومة الثقافيّة العربيّة ومن هؤلاء الناقد المصري سيد البحراوي في قوله : " أغلب الدراسات التي تناولت هذه القضية قد اتفقت على أن الرواية هي نوع أدبي وفد إلينا من الغرب بعد الاتصال الحديث، وهذا الرأي هو الرأي الأصوب والأدق علمياً؛ لأن الرأي الآخر الذي يرى أن الرواية هي امتداد لأنواع قصصية عربية قديمة، لا يفهم الفارق الواضح بين فنية تلك الأنواع القديمة وتنوعها، وبين خصائص الرواية كنوع محدد، هذا بالإضافة إلى أنه يتصور أن الأنواع الأدبية تسير سيرتها الحياتية المستقلة، وتنتقل من زمن لآخر بحرية مطلقة لا تقيدها حدود الزمن وتطور البشر منتجي هذه الأنواع الأدبية؛ أي أنهم يعزلون هذه الأنواع في ذاتها، ويفصلونها عن تاريخيتها التي هي المكون الأصلي لها". (1) [ ـ ينظر: محتوى الشكل في الرواية العربية،ص96]، وفي تقديرنا أنّ الجمع بين الرّاين هو الصواب فالرأي الأوّل يشيد بالتّراكمات السّرديّة العربية ومساهمة العرب فيها مساهمة فعّالة لا يمكن إنكار ذلك ، ولكن تضاف إليها التجربة الغربية من تقنيات الكتابة الروائية وتأطيرها فنيّا ؛ إذْ لا يمكن أن نتجاهل ببساطة الموروث السّرديّ العربيّ الذي له تأثير واضح على السّرديّة العالميّة ، نذكر منها على سبيل المثال قصص، "ألف ليلة وليلة" وهي مدوّنة عرفها المسلمون قبل منتصف القرن العاشر الميلادي، وتتمثل في قصص من الواقع الشعبيّ أبدعت فيها المخيلة العربية من خلال ما ترويه الساردة (شهرزاد) في حضرة المسرود له الملك (شهريار) جرت بعض أحداثها في العصر العباسيّ و يلاحظ على هذه القصص، (ألف ليلة وليلة)، تأثير عدّة ثقافات سائدة في ذلك العصر منها الثقافة الفارسيّة و اليونانية .

**ـ الأشكال السّرديّة العربيّة القديمة :**

أ- المقامة :ومعناها المعجمي في اللغة العربيّة "المجلس" وصارت تعني الحكايات التي تروى في المجلس، وهي قصة ، لها راو يضطلع بها بطل مُغامر وتعالج ظاهرة اجتماعيّة أو سياسيّة متفشيّة في المجتمع ذلك العصر، إذن تتوفّر المقامة على أربعة عناصر هي : (راوٍ ،وبطل ،ومجلس ،وحادثة) ، وتغلب عليها اللغة المسجوعة ، ويُعدّ "بديع الزمان الهمذاني" المتوفى عام 318 هـ، أوّل من ابتكر هذا اللون من الكتابة السّرديّة و جاء بعده تلميذه "الحريري" في القرن السادس الهجري.

ب- رسالة الغفران : لأبي لعلاء المعري" (973ـ1057 م)، ويعرف بالشاعر الفيلسوف والفيلسوف الشاعر و مضمون هذه القصة رحلة خيالية أعرج فيها الشاعر إلى السماوات يسرد لنا فيها مشاهد من الجنة ، وفي موقف آخر من النار، وقد أوَّلها بعض النقاد على أنها حالة إسقاط على الواقع الذي ضاق بصاحبه في عالمه الحقيقيّ، كالعقاب والثواب والغفران وغيرها، مع إقحام بعض المسائل الأدبيّة واللغويّة التي يدرجها الشاعر من حين لأخر بأسلوبه النقدي الساخر.والتي استلهم منها الشاعر الإيطالي دانتي (Dante) رائعته " الكوميديا الإلهية " .

ج- قصة (حي بن يقظان): لصاحبها ابن طفيل الأندلسيّ (110 هـ، 1886 م) وهي قصة أسطوريّة تجري أحداثها في جزيرة نائيّة من جزر الهند ؛ حيث عثر على رضيع لا يُعرف له نسب ، يسمّی (حي بن يقظان)، فاحتضنته غزالة عطفت عليه وأرضعته واعتقدت أنه ولدها المفقود .. وحين كبُر واشتدّ عوده صار عضوا في مجتمع الغاب .. وهي قصة فلسفيّة تطرح إشكالية أنطولوجيّة تتعلّق باللغة والدين وحاجة الإنسان إليهما في الحياة كحاجته للماء والهواء .

د- قصص (كليلة ودمنة) : لصاحبها ابن المقفّع (724-759 م) ، ويجري الحديث فيها على لسان الحيوان ومن أشهرها (البطتان والسلحفاة)و(الثعلب ومالك الحزين) وهي قصص رمزية في محتواها وقد تأثّر بها الأديب الفرنسي (جون دو لافونتين) j. De .Lafontaine (1621/1695)، وخاصة في قصته المشهورة (النملة والصرصور) .

قصص (البخلاء): للجاحظ (159 ـ 255هـ) ،وهو كتاب شهير ؛ يفضح فيه الكاتب ظاهرة البخل التي تفشّت بين الناس في عصره وخاصة الطبقة الميسورة منهم بطريقة ساخرة ومؤذية وبذلك حاول هؤلاء الأغنياء تجنّب انتقاداته من خلال تعديل سلوكهم ومن أشهر قصص البخل التي أوردها الجاحظ " (ديكة مرو البخيلة): قال ثمامة: لم أرَ الدّيك في بلدة قط إلا وهو لافظ، يأخذ الحبّة بمنقاره ثم يلفظها قدّام الدجاجة، إلا ديكة مرو، فإنّي رأيت ديكة مرو تسلب الدّجاج ما في مناقيرها من الحَب. قال: فعلمت أن بخلهم شيء في طبع البلاد، وفي جواهر الماء، فمن ثمّ عمّ جميع حيوانهم .